تاريخ العرب والعالم

مجلة مصورة تبحث في التاريخ العربي

السنة السابعة عشرة ـ العدد ١٦٦ ـ آذار (مارس) نيسان (أبريل) ١٩٩٧ ـ شوال/ذو القعدة ١٤١٧هـ



مدينة صور
في كتابات المؤرّخين والرحّالة
من الفتح الإسلامي حتى التحرير من الصليبيين

أ.د. عمر عبد السلام تدمري

صور في العصر الأُمَويّ

كانت صور عند بداية حركة الفتوحات الإسلامية تعتبر داخلة في قطاع جُند الأردن، ولذلك كان المكلّف بفتحها القائد الصحابي «شُرَحبيل بن حسنة»، الذي أُنيطت إليه مهمة فتح هذا القطاع، وتمكّن من فتحها في أواخر سنة ١٣هـ[١]/٦٣٣م.

ووجدت المدينة العناية مبكراً من المسلمين، حيث قام «معاوية» بترميمها[٢]، واهتم بملء الفراغ السكاني الذي أصابها بعد نزوح الروم عنها، فأتى بالفُرس وأنزلهم فيها كما فعل بغيرها من المدن الساحلية. فقد ذكر «البلاذُريّ» أن «معاوية» نقل من فُرس بعلبك وحمص وأنطاكية إلى سواحل الأردن صور وعكا وغيرها سنة ٤٢هـ[٣].

وروى «هشام بن الليث الصوريّ» عن أشياخه قالوا: نزلْنا صور والسواحل وبها جُندٌ من العرب وخلْق من الروم. ثم نزع إلينا أهل بلدان شتى فنزلوها معنا، وكذلك جميع سواحل الشام[٤]. ولذلك قال «اليعقوبيّ» عن صور: «وكان أهلها أخلاطاً من الناس»[٥].

وفي سنة ٥٩هـ/٦٧٩م تمكّن البيزنطيون من الاستيلاء عليها وعلى صيدا وتسلقوا جبال لبنان بمساعدة الجراجمة[٦]، إلى أن عقد «معاوية» الهدنة مع الإمبراطور واستعاد المدينة.

دار الصناعة البحرية

وفي عهد «عبد الملك بن مروان» جرى تجديد بنائها بعد أن كانت خربة[7]، وارتفع شأنُها بين المدن الساحلية حين نقل إليها «هشام بن عبد الملك» دار الصناعة البحرية، وكانت الصناعة في الأردن بعكا، فذكر «أبو الخطّاب الأزْدي» أنه كانت لرجلٍ من أبي مُعَيْط بعكا أرحاء ومُستَغلات، فأراده هشام بن عبد الملك على أن يبيعه إياها، فأبى المُعَيْطيُّ ذلك عليه، فنقل هشام الصناعة إلى صور، واتخذ بصور فندقاً ومستَغلاً. وقال «الواقديّ»: لم تزل المراكب بعكا حتى وَلّي بنو مروان فنقلوها إلى صور، فهي بصور إلى اليوم[8].

إمرة البحر

وفي أيام «هشام» قام البيزنطيون بغزوة بحرية إلى صور سنة ١٠٧هـ/٧٢٦م. فتصدّى لهم «خالد بن الحسفان الفارسيّ» وأجبرهم على الفرار بعد أن استولى على سفينة لهم كانت رست على جزيرة قبالة صور، وأسر من فيها[9]. ومن المرجح أن «ابن الحسفان»، وهو فارسيّ الأصل، كان والياً على صور ومن غُزاة ثغرها، وكان أمير البحر بها «يزيد بن أبي مريم» الذي عزله «هشام» لتهاونه في مواجهة الغزاة، وولّى إمْرة البحر مكانه «الأسود بن بلال المُحَاربيّ»، فقطع «الأسود» البحر في سنة ١١١هـ/٧٣٠م، ردّاً على تلك الغزوة[10].

وكانت مهمة الدفاع على طول الساحل الشامي تُناط بأمير البحر، ولذلك ترى «الأسود» يخرج لمطاردة الغُزاة البيزنطيين حين هاجموا سفينة تجارية عند ثغر بيروت[11]. وقام بغزوة إلى قبرس في سنة ١٢٠هـ[12]/٧٣٨م. ثم بغزوة إلى جزيرة أقريطش في السنة التالية أو التي بعدها[13].

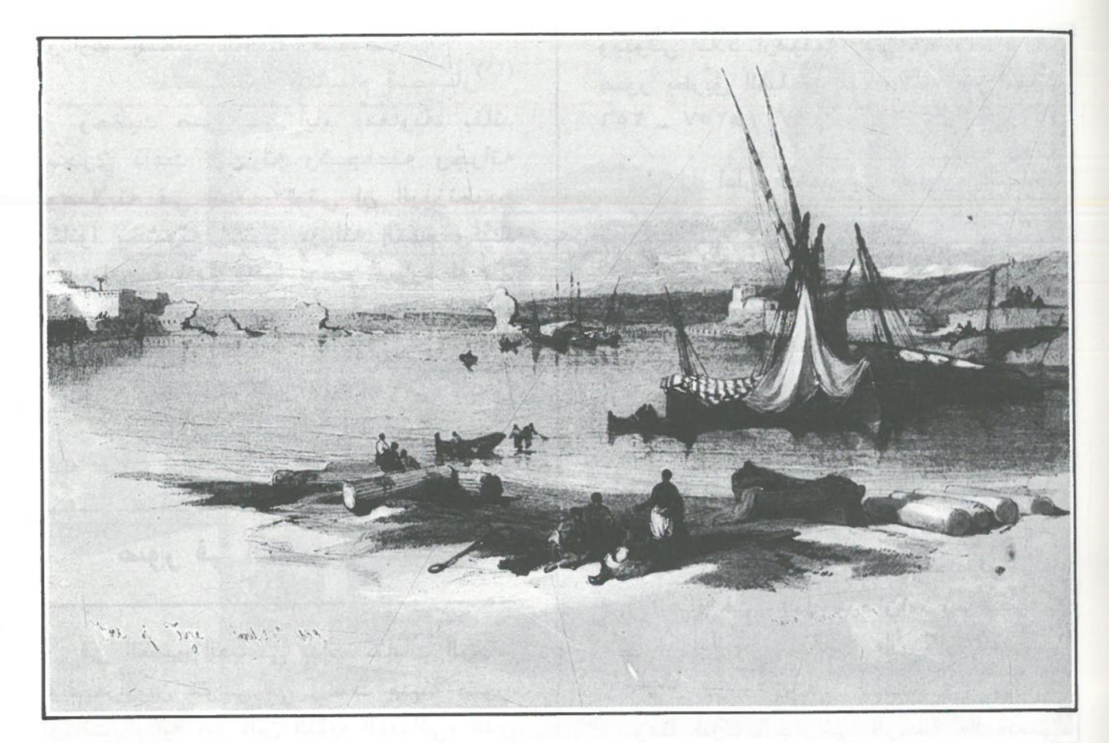
وفي عهد «الوليد بن يزيد» زادت سُلطات «الأسود» فأصبح أميراً على جيش البحر في ساحل الشام كله، وقاد حملة كبيرة إلى جزيرة قبرس فنزل عليها في سنة ١٢٥هـ/ ٧٤٣م. وأتى بطائفة من أهلها وأسكنها «الماحوز» بين صيدا وصور[14].

وفي عهد «مروان بن محمد» تمّ ترميم ميناء صور على يد كبير البنّائين «زياد بن أبي الورد الأشجعي» الذي ترك اسمه منقوشاً في عبارة تردّدت في ميناء صيدا وعكا ومرعَش، وحتى أذربيجان: «.. هذا ما أمر بإصلاحه أمير المؤمنين مروان، وجرى على يدي زياد بن أبي الورد»[15].

الرباط في صور

وكانت صور من أهم ثغور الشام عند المرابطين المنقطعين للجهاد والغزو، حتى إن الإمام «الأوزاعي» كان يفضّل الإقامة والرباط فيها على بيروت، وعبر عن ذلك بقوله لحسّان بن سليمان الساحلي: «عليك بصور فإنها مباركةٌ مدفوعٌ عنها الفِتن، يُصبح فيها الشر فلا يُمسي، ويُمسي فيها فلا يُصبح، قبر نبيٍّ في أعلاها... ولو أنني استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ ما عَدَلْتُ بها بلداً»[16].

وقد رأى الزاهد المرابط «إبراهيم بن أدهم» مدينة صور في نومه كأنها ياقوتةٌ بيضاء، ولذلك خرج من كورة بلْخ وهو صغير يحلم بنزول صور والإقامة فيها، وحول ذلك روى مولاه «فرج» بصور سنة ١٨٦هـ/٨٠٣م، فقال: «كان إبراهيم بن أدهم رأى في المنام كأن الجنة فُتحت له، فإذا فيها مدينتان، إحداهما ياقوتة بيضاء، والأخرى من ياقوتة حمراء، فقيل له: اسكن



□ مرفأ صور للرسام دافيد روبرتس ١٨٣٩.

هاتين المدينتين فإنهما في الدنيا، فقال: ما اسمهما؟ قيل: اطلُبهما فإنك تراهما كما أوريتهما في الجنة، فركب يطلبهما، فرأى رباطات خُراسان، فقال: يا فرج ما أراهما! ثم جاء إلى قزوين، ثم ذهب إلى المصّيصة والثغور، حتى أتى الساحل في ناحية صور، فلما صار بالنواقير ـ وهي نواقير نقَرها سليمان بن داود على جبل على البحر ـ فلما صعد عليها رأى صور، فقال: يا فرج، هذه إحدى المدينتين، فجاء حتى نزلها، فكان يغزو مع أحمد بن معيوف، فإذا رجع نزل يَمْنة المسجد، فغزا غزوة فمات في الجزيرة، فحُمل إلى صور، فدُفن في موضع يقال له «مدفلة». فأهل صور يذكرونه في تشبيب أشعارهم، ولا يرْثون ميتاً إلاّ بدأوا بإبراهيم بن أدهم. قال القاسم بن عبد السلام: قد رأيت قبره بصور. والمدينة الأخرى: عسقلان[17]».

وكان «سفيان الثوْريّ» يحدّث بعسقلان، فربما حدّث الرجل الحديث فيقول له: هذا خير لك من ولايتك عسقلان وصور[18].

ومن الأمراء والغُزاة والمرابطين الذين نزلوا بها ووصلتنا أسماؤهم في هذه الحقبة: الأسود بن بلال أمير البحر، وخالد بن الحسفان الفارسي أحد الغزاة، وأبو عليّ حسان بن سليمان الساحلي الذي رابط فيها وروى عنه أبو حفص عمر بن الوليد الصوري[19].

ويظهر أن الفُرس الذين نقلهم «معاوية» إليها قاموا ببناء مسجدٍ خاص بهم، ولذا عُرف بمسجد الفُرس[21]. وقيل إنّ رجلاً من أهل بيروت جاء إلى صور فقرأ على حائط سورها:

دَعِ الدنيا فإنّي أراها
لمن يرضى بها دار بَوَار

ودارك إنما الذاتُ فيها
معلّقةٌ بأيام قِصار[٢١]

وحظِيت صور في أيام «معاوية» بقائد بحريّ ذاعت شُهرته وشجاعته وجُرأته وصلابته في البلاد، حتى إن البيزنطيين كانوا يخشونه لكثرة غزواته إليهم وكَيْده بهم، لدرجة أنهم قاموا برسم صورةٍ له في بعض كنائسهم الكبيرة ليتعرّفوا إليه ويحذروه. وقد وصفه «المسعوديّ» بأنه كان عارفاً بالسواحل، كثير الغزوات في البحر، صملاً من الرجال، مِرْطاناً بالرومية، وحكى عنه حكاية تدل على جُراته[٢٢].

صور في العصر العباسي

في العصر العباسي بدأت كتابات الرحالة والجغرافيين تتوالى في وصف مدينة صور، وكانت البداية مع «ابن الفقيه الهمْداني» الذي اكتفى بالقول: «صور: مِنْبَرُها إلى دمشق، وخَرَاجُها إلى الأردن»[٢٣]. وقال «كعب الأحبار»: «من أراد منكم أن يُجمَع له دينه ودُنْياه فعليه بصور»[٢٤].

وبعد أن تمكّن «عيسى بن الشيخ» والي فلسطين من التغلّب على «الموفّق الخارجي» في سنة ٢٥١هـ/٨٦٥م. طلب من الخليفة العباسي «المستعين بالله» أن يكتب إلى صاحب صور في توجيه أربع مراكب بجميع آلتها لتكون تحت تصرّفه[٢٥].

وحين رفض «ابن الشيخ» البيعة للمعتمد بالخلافة، وغَلَبه العباسيون لجأ بأهل بيته إلى صور وتحصّن بها، وحتى لا تتعرّض المدينة وميناؤها للتخريب آثر الخليفة أن يُخرجه منها بالتفاوض، فأرسل إليه الفقيهين: «إسماعيل بن عبد الله المروزي» و«محمد بن عُبَيد الله الكريزي القاضي»، وبعث معهما رسوله «الحسين الخادم» المعروف بـ «عَرَق الموت»، فعرضوا على «ابن الشيخ» أن ينصرف من الشام آمناً ويتولّى بلاد أرمينية، فوافق، وخرج من صور بطريق الساحل إلى ولايته بين سنتي ٢٥٦ ـ ٢٥٧هـ/ ٨٧٠م[٢٦].

وما إن أعلن «أحمد بن طولون» استقلاله بحكم مصر عن العبّاسيين وضمّ بلاد الشام إليه في سنة ٢٦٤هـ/٨٧٨م، حتى قام بجولة تفقّد فيها السواحل، فمرّ بثغر صور، وعكا، ويافا، وكانت صور بحالة جيدة فأعجبه بناؤها العجيب وأدهشه، وحين وصل إلى عكا وجد أنها لم تكن بحصانة صور، فجمع صُنّاع البلاد وعرض عليهم منعة صور واستدارة السور على مينائها، وطلب إليهم أن يبنوا سور عكا وميناءها على غرارها، فاعتذروا له وقالوا: «لا يهتدي أحد إلى البناء في الماء في هذا الزمان!»، ثم ذُكر له «أبو بكر البنّاء»، وقيل: «إنْ كان عند أحدٍ عِلم هذا، فعنده».

وهنا أترك الجغرافي الرحالة «المقدسي» المعروف بـ «البِشاريّ» وهو حفيد «أبي بكر البنّاء» يحدثنا عن كيفية بناء سور عكا البحري، ومن خلال هذا الوصف يمكن أن نتصوّر ما كان عليه ثغر صور في ذلك الوقت.

يقول «البِشاريّ» إن جدّه أتى بِفِلَقٍ من شجر الجُمَّيْز الغليظة، فصَفّها على وجه الماء بقدْر الحصن البرّي، وخيّط بعضها ببعض، وجعل لها باباً من الغرب عظيماً، ثم بنى عليها بالحجارة والشِّيْد، وجعل كلما بنى خمس دوامس ربطها بأعمدة غلاظ ليشتدّ البناء، وجعلت الفِلَق كلما ثقُلَت نزلت، حتى إذا علم أنها قد جلست على الرمل تركها حَوْلاً كاملاً، حتى أخذت قرارها، ثم عاد فبنى من حيث ترك، كلما بلغ البناء إلى الحائط القديم داخله فيه وخيّطه به، ثم جعل على الباب قنطرة، فالمراكب في كلّ ليلة تدخل الميناء، وتُجَرّ السلسلة مثل صور. قال: فدفع إليه ألف دينار سوى الخِلَع وغيرها من المركوب، واسمه عليه مكتوب»[٢٧].



□ الآثار الرومانية في مدينة صور.

ويقول «قُدامة»: «وسواحل جُنْد الأردن: صور، وعكا. وبصور صناعة المراكب»[٢٨].

ويقول «اليعقوبي»: ولجُنْد الأردن من الكُوَر: صور، وهي مدينة السواحل، وبها دار الصناعة، ومنها تخرج مراكب السلطان لغزو الروم، وهي حصينة جليلة، وأهلها أخلاط من الناس»[٢٩].

ويقول «الإصطَخْري»: «وصور: بلد من أحصن الحصون التي على شطّ البحر، عامرة خصبْة، ويقال إنها أقدم بلد بالساحل، وإن عامة حكماء اليونان منها»[٣٠]. ومثله قال «ابن حوقل»[٣١]. وترددت عبارته في أكثر من مصدر عند المؤرخين والرحّالة.

ويقول «المقدسي البِشاري»: وصور مدينة حصينة على البحر، بل فيه، يُدخَل إليها من باب واحد على جسر واحد، قد أحاط البحر بها، ونصفها الداخل حيطان ثلاثة بلا أرض، تدخل فيه المراكب كل ليلة، ثم تُجَرّ السلسلة التي ذكرها محمد بن الحسن في كتابه (الإكراه)، ولهم ماء يدخل في قناة معلّقة. وهي مدينة جليلة نفيسة، بها صنائع، ولهم خصائص. وبين عكا وصور شبه خليج، ولذلك يقال: عكا حِذاء صور إلاّ أنك تدور، يعني حول الماء.

وقيل: صور: بل هي في البحر، لأنه يدور عليها ويُدخَل إليها على جسر، ويدخل إليهم الماء في قناة معلّقة، وهي نصفين، نصف كِبْس، ونصف حيطان في الماء على ما ذكرنا من عكا. وله «باب»، «وإنما تدخل المراكب هذا الحيِّز، وتُجَرّ السلسلة كي لا يعبر عليها الروم في الليل، وصور مدينة نفيسة، بها صنائع كالبصرة وخصائص، ومنها أكثر سُكّر الشام. ولهم ماء غزير. ومزارع القصب

بها كثير». «ومن صور: السُّكّر والخَرز، والزجاج المخروط، والمعمولات». «وماء صور يحصُر»(٣٢).

ويُنسب إلى صور «القفيز»، وهو مكيال للوزن، يساوي ثُلُثَي مُدْي إيليا، كما يُنسب إليها «الصاع»، وهو مكيال للقمح، وكَيْلَجَة إليا تساوي نحو صاعٍ ونصف صاع صوريّ(٣٣)، وكما نُسبت بعض المكاييل إلى صور منذ ذلك التاريخ المبكر، فقد نُسب إليها في فترة لاحقة «الدينار الصوريّ»، ونوعٌ من الكاغد أو الورق يُعرف بـ «الطاق الصوري» كان يُكتب عليه المُصحف بماء الذهب(٣٤).

وما دمنا بصدد ما نُسب إلى صور، فلا يفوتني في هذا المجال أن أذكر البحّار «دَمْيان» المعروف بـ «دميان الصوري» الذي أرعب البيزنطيين هو والبحّار العظيم «ليو الطرابلسي»(٣٥) وكان ممّن أسهم في إسقاط الدولة الطولونية في مصر(٣٦).

وفي سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م يحقّق أسطول صور البحري انتصاراً على الروم بقيادة القاضي «محمد بن العباس الجُمَحيّ»(٣٧).

وتدخل صور بحوزة القائد العباسي «محمد بن رائق» سنة ٣٢٧هـ/٩٣٨م فينزل بها لبعض الوقت ومعه غلام له يُدعَى «مشرق»، فيُنشده أحد أدبائها بقوله:

يَصْفَرُّ لوني إذا أبصرتُ به
خوفاً، ويَحْمَرُّ وجهه خجلا
حتى كأنّ الذي بوجنته
من دم قلبي إليه قد نُقِلا(٣٨)

وقبل أن يتوجه «ابن رائق» إلى بغداد سنة ٣٢٩هـ/٩٤٠م أضاف صور وعَمَل الأردن إلى «بدر بن عمّار» صاحب طبرية – وقيل صاحب طرابلس – فقال «المتنبّي» يهنّئه ويمدحه وهو بطبرية:

تُهَنّا بصورٍ أم نُهَنّها بكا؟
وقلَّ الذي صورٌ وأنت له لكا
وما صغر الأردن والساحل الذي
حُبيتَ به إلاّ إلى جنب قدركا
تحاسَدَت البلدان حتى لو أنّها
نفوسٌ لسار الغرب والشرق نحوكا
وأصبح مصرٌ لا تكون أميرَه
ولو أنه ذو مُقْلةٍ وفمٍ بكى(٣٩)

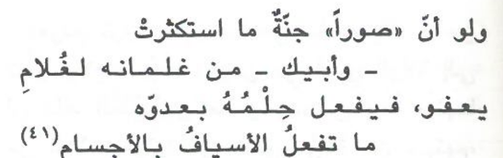
صور في العصر الفاطمي

تتناول المصادر التاريخية وغيرها أحداث صور السياسية في العصر الفاطمي بشكلٍ مفصَّل نسبياً عمّا في العهدين السابقين الأمويّ والعباسي، ومن أهمها ثورة «العلاّقة» في سنتي (٣٨٧ – ٣٨٨هـ/٩٩٧ – ٩٩٨م) وهي معروفة لدى الباحثين. ولكنّ ما لا يعرفه الكثيرون من الباحثين أن صور دخلت في دائرة نفوذ والي طرابلس الفاطميّ «علي بن حيدرة» في سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م، حيث قام بتعيين عاملٍ عليها من قِبَله بعد حرب أثارها بنو كِلابٍ في جنوب «لبنان» إذ دخلوا صور وانتزعوها من الدولة الفاطمية، فخرج «ابن حيدرة» لقتالهم وهزمهم بعد معركة طاحنة، وقد سجّل الشاعر «الحسن التّهامي» تلك الموقعة في ديوانه بقصيدة، فأفادنا بمعلومة تاريخية مهمة لا نجدها في أي مصدرٍ تاريخيّ بحت، فيقول ممتدحاً «ابن حيدرة»، ويشير إلى تعيينه أحد غلمانه عليها:

غادرْتَ أُسْدَ بني كِلابٍ أكلُباً
إذْ زرتَهُمْ، وزئيرهنّ نُباحا
فنَسُوا النساء، ودمّروا ما دبّروا
ورأوا بقاً أرواحهم أرباحا
.. وتركتَ أعيُنَهم بـ «صور» في الوغى
صُوَراً، وقد جاح الورى ما جاحا(٤٠)

ومن قصيدة أخرى:

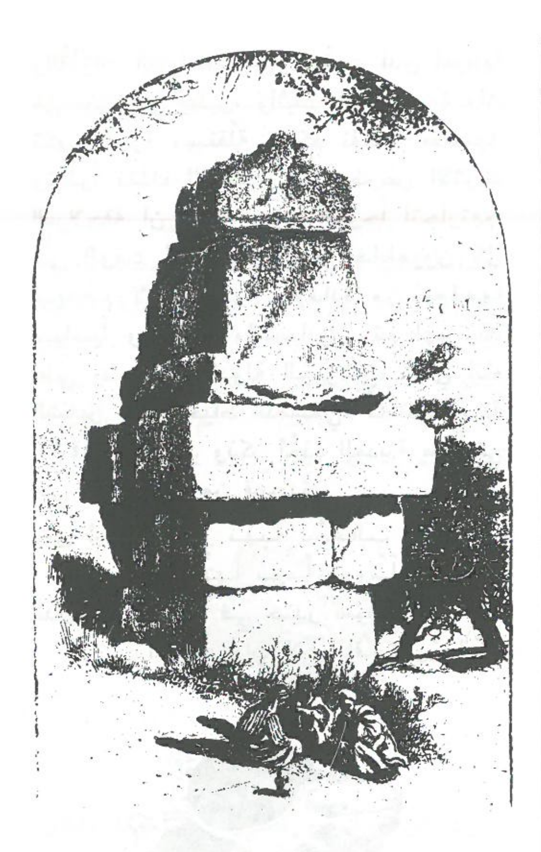
أعْدَى ندى كفَّيْه «صورَ» وأهلَها
والبدرُ يقلبُ طَبْعَ كلِّ ظلامِ


ولو أنّ «صوراً» جنّةٌ ما استكثرتْ
– وأبيك – من غلمانه لغُلامِ
يعفو، فيفعل حِلْمُهُ بعدوّه
ما تفعلُ الأسيافُ بالأجسام(٤١)

وفي سنة ٤٣٨هـ/١٠٤٧م، يمر الرحّالة الفارسي «ناصر خسرو» بمدينة صور فيقول إنها «قد بُنيت على صخرةٍ امتدت في الماء، بحيث أن الجزء الواقع على اليابس من قلعتها لا يزيد على مائة ذراع، والباقي في ماء البحر. والقلعة مبنيّة بالحجر المنحوت الذي سُدَّت فجواته بالقار حتى لا يدخل الماء من خلَله. وقد قدّر المدينة بألف ذراعٍ مربّع. وأربطتها من خمس أو ست طبقات، وكلّها متلاصقة، وفي كثيرٍ منها نافورات، وأسواقها جميلة كثيرة الخيرات. وتُعرف بين مدن ساحل الشام بالثراء، ومعظم سكانها شيعة، ولكن قاضيها رجل سُنّي اسمه ابن أبي عقيل، وهو رجل طيّب ثريّ. وقد بُني على باب المدينة مشهد به كثير من السجاجيد والحصير والقناديل والثريّات المذهّبة والمفضّضة. وصور مشيّدة على مرتفع، وتأتيها المياه من الجبل. وقد شُيِّد على بابها عقود حجرية، يُمرّ من فوقها إلى المدينة. وفي الجبل وادٍ مقابلٌ لها، إذا سار السائر فيه ثمانية عشر فرسخاً ناحية المشرق بلغ دمشق»(٤٢).

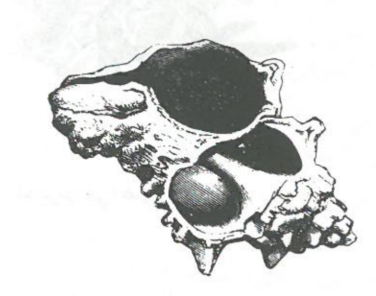
ونستخلص من وصفه لصور أنها كانت مثل طرابلس من ناحية المساحة والعمران والسكان، فهي حسب تقديره تبلغ مساحتها ألف ذراع مربَّع، وترتفع مبانيها أربع أو خمس طبقات، ومنها ما هو ست طبقات أيضاً. مما يدل على أن العمران كان يأخذ اتجاهاً عمودياً، وليس توسُّعاً أفقياً، فمساحة المدينة – حسب تقديره – أقلّ من ثلاثة أرباع الكيلومتر المربّع الواحد.

أما «ابن أبي عقيل» الذي يذكره، فهو واحد من قضاة صور وأمرائها الذي استقلّوا بها عن الدولة الفاطمية، وكوّنوا إمارة عُرفت بإمارة بني أبي عقيل دامت نحو ربع قرن (٤٨٢ – ٥٥٥هـ/١٠٦٤ – ١٠٨٩م)(٤٣)، وهو «علي بن عياض بن أبي عقيل» الملقّب بـ «عين الدولة» وكان من كبار رجالات عصره فضلاً وتقدُّماً ورياسة، ففي سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٧م. نجده يشارك مشاركة فعّالة في أحداث بلاد الشام والتطورات الخطيرة التي كانت تجري في حلب، .وطرابلس، حيث تعرّضت هذه الأخيرة إلى حملة الأسطول البيزنطي المؤلف من (٨٠) قطعة بحرية، فطلب قاضيها «أمين الدولة ابن عمّار» المساعدة من «عين الدولة»، فأنجده بقوات كثيرة في البرّ والبحر(٤٤). مما يؤكد أهمية صور وإمكاناتها العسكرية في ذلك الوقت،


□ معبد احيرام في صور.

والقُدُرات السياسية التي توفّرت لدى أمرائها من بني أبي عقيل، وأثبتت أنها جديرة بأن تكون إمارة مستقلّة تحكم نفسها بنفسها. ونظراً لتلك الأهميّة فقد حرص الأتراك السلاجقة أن تكون ميناء مفتوحاً لتجارتهم، في الوقت الذي بذل فيه الفاطميون كل جهدهم لاستعادتها والإفادة من موقعها سياسياً وعسكرياً واقتصادياً، وتمّ لهم ذلك على يد «منير الدولة الجيوشي» الذي أتاه الشاعر «ابن الخياط الدمشقي» فامتدحه سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م. وذكر أخْذه للمدينة من بني أبي عقيل فقال من قصيدة:

رأى أرض صورٍ نُهْبةً لمُغالِبٍ
ينازِلُها يوماً ويوماً يُغيرُها
تَدارَكها والنصرُ في صدر سيفِهِ
أخو عزماتٍ لا يُخافُ فتورُها(٤٥)



وقد دخل الأمير الأديب والمؤرخ الشاعر «أسامة بن منقذ» دار بني أبي عقيل فرآها بعد أن تهدّمت وتغيّرت زخارفها، فكتب على بعض رُخامها:

دارٌ سكنتُ بها كرْهاً وما سكنتْ
نفسي إلى سَكَنٍ فيها ولا شَجَنِ
والقبرُ أرفقُ لي منها وأجمل بي
إنْ صدّني الدهرُ عن عَوْدٍ إلى وطني(٤٦)

وقد تقدم أن صور كانت تتبع جُند الأردن قديماً، فلما دخلت بحوزة الفاطميين أصبحت ثغراً وولاية مفردة لها أعمالها، وفي ذلك يقول «ابن شداد»:

«ولم تزل صور ـ على ما حكيناه ـ من تنقّل ولايات جُنْد الأردن في أيدي الولاة إلى أن ملك العُبَيْديّون مصر ودمشق وما بينهما من البلاد، فولّوا في الثغور وُلاةً من جهتهم، وأقطعوها من الأعمال، ورتّبوا فيها غُزاةً برّاً وبحراً»(٤٧).

أما عدد سكان صور في العصر الفاطمي فكان يقارب سكان صيدا، أي نحو أربعين ألفاً، ثم زادوا حتى قاربوا سكان طرابلس. ففي سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٣م فرض الفاطميون على أهلها مبلغ ستين ألف دينار جناية لعصيان «منير الدولة الجيوشي» عليهم(٤٨)، والمرجح أن عدد السكان ستون ألفاً، فكان على كل رأس دينار واحد. وما من شك في أن هذا المجموع ازداد على مدى الثلاثين سنة التالية قبل أن تسقط بيد الصليبيين، خاصة أن كثيراً من سكان المدن الساحلية كانوا يخرجون نازحين للإقامة فيها بعد سقوط طرابلس وبيروت وصيدا وغيرها، بين سنتي ٥٠٢ ـ ٥٠٤هـ/١١٠٩ ـ ١١١١م.

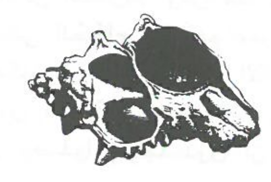
وكانت صور في سنة ٥٠٤هـ/١١١١م أكبر من مدينة حماه بثلاثة أضعاف ونصف مساحةً وسكاناً، إذ في تلك السنة صالح أمير صور الإفرنج على سبعة آلاف دينار، بينما صالحهم صاحب حماه على ألفين فقط، ولهذا قال الحافظ الذهبيّ في تاريخه: إن حماه كانت صغيرة جداً(٤٩).

وتكاد صور تماثل طرابلس بغِنى الحركة الفكرية وكثرة العلماء الذين أخرجتهم، أو العلماء الذين نزلوا فيها، وأثْروا حياتها العلمية والأدبية والدينية، كما تماثلها في التمتُّع بحق صك النقود، وإن كانت طرابلس أسبق منها في ذلك(٥٠)، كما أن طرابلس تتميز عنها بدار علمها ومكتبتها التي حوت ثلاثة ملايين مخطوط أحرقها الصليبيون عند اقتحامهم لها سنة ٥٠٢هـ/١١٠٩م(٥١).

وقبل سقوط صور بيد الصليبيين بعدّة سنين كانت الغِلال تُحمل إلى موانيء

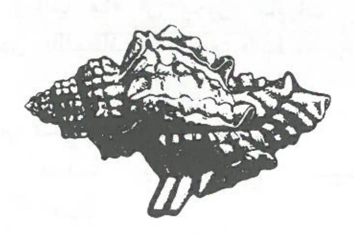
الإسكندرية ودمياط، وتِنّيس، لتُسَيَّر إلى ثغر عسقلان وثغر صور، بحيث يُسَيَّر إليهما في كل سنة مائة وعشرون ألف إردبّ، يذهب منها إلى عسقلان خمسون ألفاً، بينما كانت حصة صور سبعين ألفاً، فتُخَزَّن هناك ذخيرةً، ويُباع منها عند الغِنى عنها(٥٢). وقد حدث مثل ذلك في سنة ٥٠٧هـ/١١١٤م بحيث رخصت الأسعار بصور، وحسُنَت أحوال الناس، فقصدها التجار والسُّفار من جميع الأقطار(٥٣).

وفي العودة إلى قول «ناصر خسرو» من أنه «شُيِّد على باب صور عقود حجرية، يُمَرُّ من فوقها إلى المدينة»، فالمرجح لديّ أن العقود الحجرية تلك، هي التي جدّد عمارتها والي صور «منير الدولة» بين سنوات ٤٨٢ ـ ٤٨٦هـ/١٠٨٩ ـ ١٠٩٣م. ولذا سُمِّيت باسمه فأصبحت تُعرف بـ «قنطرة منير الدولة». أما الجامع القريب من باب المدينة الذي يذكره في رحلته، فهو المعروف بـ «مسجد عتيق»، وبجواره مقبرة دُفن فيها «أبو إسحاق إبراهيم بن علي العتّابي» سنة ٤٧١هـ/١٠٧٩م وكان شيخ الصوفية بثغر صور، وأصله من بلاد ما وراء النهر، استوطن صور نحواً من أربعين عاماً حتى نُسِب إليها. كما دُفن فيها صوفيّ آخر أصله من بلاد طالقان المروز، وكان يتردّد إلى صور ثم استوطنها حتى مات فيها. وأرّخ له «غيث الأرمنازي» في «تاريخ صور» وقال إنه دُفن عند قنطرة منير الدولة خلْف مسجد عتيق. كما يُحتمَل أن هذه المقبرة هي التي كانت تُعرف بـ «الخربة» حيث دُفن فيها شيخ الصوفية في وقته «ابن عطاء الرُّوذْباريّ»، وهي تُعتبَر بظاهر المدينة في ذلك الوقت.



وكان بصور «دار وكالة» يتولّى النظر عليها «أبو محمد بن السمسار» أيام قاضيها «الناصح محمد بن أبي عقيل» وقد عرض فيها الشاعر «ابن حَيُّوس» بضاعة له للتجارة.

ومن معالم صور في العصر الفاطمي أيضاً الخندق الذي بناه أميرها «مبارك الدولة فتح القَلْعيّ» حول سورها في مدّة ولايته بين سنتي ٤٠٧ ـ ٤٠٨هـ/١٠١٦ ـ ١٠١٧م. وذكره «عبد المحسن الصوريّ» في ديوانه. وفي سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م هدم «أتْسِز الخُوَارَزْمي» سور صور عند حصاره لها.



ويتكرر وصف صور وموقعها داخل البحر عند «وليم الصوري» فيقول: وتقع صور في قلب البحر أشبه بجزيرة تحيط بها المياه من كل جانب. ويضيف: أنها تضم في نطاق أعمالها أربع عشرة مدينة كبرى. وقد زُلزِلت أسوار صور وأبراجها من كثرة الرمي عليها في سنة ٥٠٥هـ/١١١١م، ولكن أهلها قاموا بترميم ما تشعّث من السور، وحفروا الخنادق حوله، وحصّنوا البلد بعد أن رفع الصليبيون حصارهم. كما حفروا سراديب تحت الأرض، وكان بسَرَبٍ منها نِفْطٌ مخزون، كما يقول «ابن الأثير». وعندما حاصرها الصليبيون الحصار الأخير قبل سقوطها سنة ٥١٨هـ/١١٢٤م لم يكن يربطها بالبرّ إلا برزخ ضيق، غير أن تحصيناتها جرى بناؤها على طراز جيد. إلاّ أن نقطة الضعف كانت تتمثل في ساقية المياه الآتية من شرقي المدينة، بينما يفتقر شبه الجزيرة الذي تقوم صور فوقه إلى

مياه الشُرْب، حسب وصف «فيلشر أوف شارتر». ويوجز «ابن الأثير» القول بأنها كانت من أحصن البلاد وأمنعها. ويصفها «وليم الصوري» أيضاً بالمدينة الشديدة الحصانة، ذات الميناء الفسيح، ويُسمّي عين الماء التي بظاهرها «نبع الجنان» ويقول إنه نبع معروف، غزير الماء، يُعَدّ أعجوبة من أعاجيب الدنيا، وحوله البساتين الفسيحة التي تفيض بكل ما تشتهيه الأنفُس من الطيّبات.

ومن أعمال صور في الشمال «نهر الليطاني» وكان «مبارك الدولة فتح القلْعي» أنفذ إلى «عبد المحسن الصوريّ» بيتاً من الشعر، وطلب منه أن يُجيزه بأبيات، يذكر فيها نهر «الليطاني» باسم «ليطا»، والبيت هو:

لا يوم في الدينا كيو ... منا بشاطي ليطا

فقال الصوريّ:

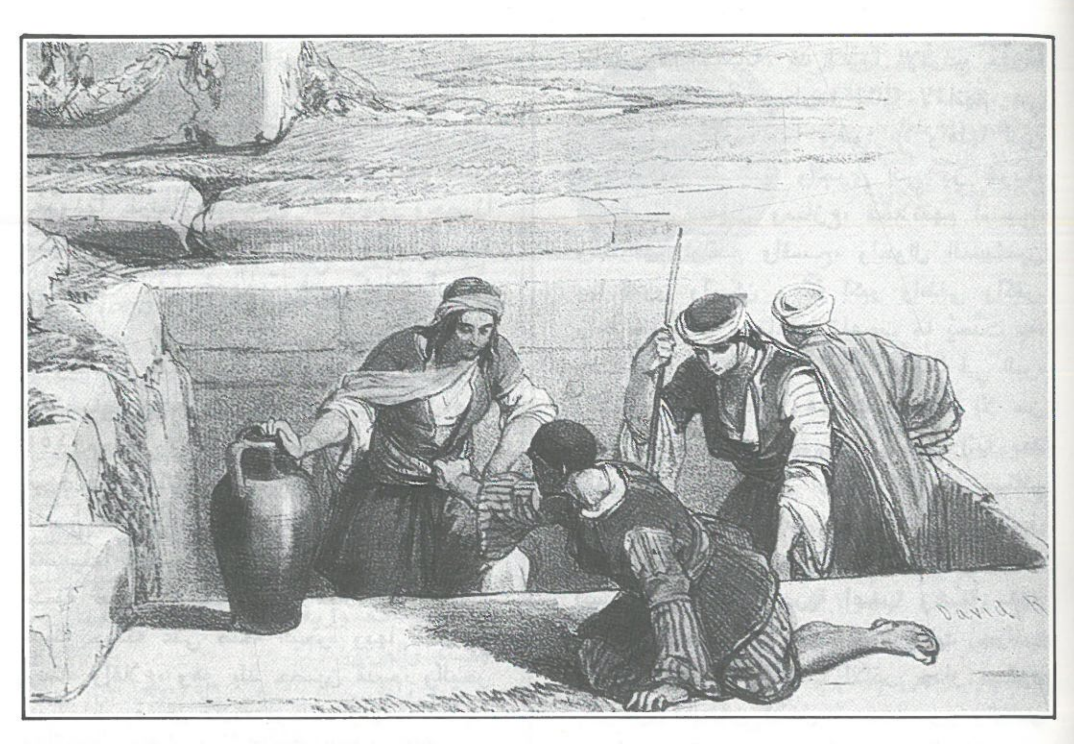
والطَّلُّ ينشر كلَّ وقتٍ ... كيومنا لؤلؤاً فيها سقيطا
وجواهرُ الأنوار تطلُعُ ... من زَبَرجدها خليطا
فإذا رأيت الدُرَّ أبـ ... صرْتَ العقيقَ به منُوطا
والطَّيرُ تستَبقُ النشيـ ... دَ بها وتعتقِبُ البسيطا
والبحر محتشمٌ يرى ... من جُودها البحرَ محيطا
حالٌ تردُّ إلى التّصا ... بي كلَّ كَسْلانٍ نشيطا(٥٤)

وما دمتُ بصدد الحديث عن «عبد المحسن الصوريّ» فلا بد من القول بأن ديوانه يأتي في مقدّمة المصادر التي تستحق التوقف عندها، ليس لدراسة شعره وأغراضه ومُحَسّناته الأدبية، بل لأن الديوان يُعتبر مصدراً أساسياً للتاريخ السياسي، والاجتماعي، والثقافي، ليس لمدينة صور فحسب، بل لساحل الشام كله، لِما فيه من أسماء شخصيات كان لها موقعها السياسي، والعسكري، والديني، والإداري، والاجتماعي، والفكري في عصره. ومن هذا الديوان نقف على معلومات تاريخية هامة لا يوفّرها أي مصدر تاريخي آخر عن العصر الفاطمي، فالصوريّ المُتَوَفّى سنة ٤١٩هـ/١٠٢٩م يمدح في ديوانه الخليفة العزيز بالله، والحاكم بأمر الله، والشيخ المفيد ابن النعمان إمام الشيعة، وعدداً كبيراً من القُضاة والأعيان والأمراء والقادة وكبار الموظفين على اختلاف طوائفهم ومذاهبهم، من شيعة وسُنّة، ونصارى ويهود، ما بين حاجب، وكاتب، وطبيب، وتنقّل بين بلده صور، وصيدا، وبيروت، وطرابلس، ودمشق، وحمص، والمَعَرّة، والرملة، وطبرية، وقَيْسارية، وعكا، وكفرطاب، فمدح، وهجا، وتغزّل، ووصف، ورثا.

ويكاد «غيث بن علي الأرمنازي» ينافس «عبد المحسن الصوري» في حشد المعلومات التاريخية والأدبية عن صور خاصة، وساحل الشام عامة، بكتابه «تاريخ صور» المفقود والذي حفظ لنا «ابن عساكر» كثيراً من نصوصه في «تاريخ دمشق» الذي لا يزال مخطوطاً في مُعظمه حتى الآن(٥٥).

صور في عهد الصليبيين

كانت صور عند سقوطها بيد الصليبيين سنة ٥١٨هـ/١١٢٤م كما وصفها «وليم الصوري»: «أشبه ما تكون بجزيرة لوجودها في بحرٍ لُجّيّ الأمواج، شديد الخطورة بسبب الصخور ذات الارتفاعات المختلفة التي لا تراها العين المجرّدة. ومن هنا كان شرّها لا يؤمن على الحُجّاج وغيرهم ممن لا دراية لهم بالمكان إن هم حاولوا الاقتراب من المدينة من ناحية البحر، ولم يكن لمثل هؤلاء أن يصلوا إليها دون أن تتعرّض



□ نبع ماء في قانا ـ دافيد روبرتس ١٨٣٩.

سُفُنهم للعطب على الصخور. وما لم يكن معهم مرشد مُلِمٌّ بالبحر المحيط بهم، عارفٌ به فيجنّبهم الغرق.

وكانت صور مُحاطة من ناحية البحر بسور مزدوج ذي أبراج شاهقة، يفصل الواحد منها عن الآخر مسافة مثل التي بينه وبين الذي يليه. وكان لها من ناحية الشرق ـ حيث يمكن الوصول إليها براً ـ سورٌ ثلاثي الشكل بعض الشيء. وأبراج بالغة الضخامة قد تقارب بعضها من بعض تقارباً شديداً كاد أن يجعلها متلاصقة، كما يوجد رصيف بحري يتيسّر للأهالي أن يبلغوا البحر عبره من كلا جانبيه.

أما من الناحية الشمالية فيقوم على حراسة مدخلها برجان ويحرسان أيضاً الميناء الواقعة داخل أسوارها، وتصطدم الأمواج أول ما تصطدم عند انكسارها بساحل الجزيرة الخارجي الذي يُضعف من عنف البحر العاصف. ومن ثَمّ نشأ مرسى صالح للسفن يصل بين الجزيرة والبر، وهو آمِن للغاية من كل الأمواج إلا ما يجيء من ناحية الشمال.

وكانت صور آهلة بكثير من عِلْيَة القوم الذين أصابوا حظاً كبيراً من الجاه والثروة بفضل رحلاتهم التجارية المستمرة إلى معظم البلاد المُطلّة على البحر المتوسط فجنَوْا من وراء ذلك ثروات ضخمة، وعادوا بكمّيات هائلة من السلع الأجنبية التي زادت في موارد المدينة المالية، يُضاف إلى ذلك أن أعداداً كبيرة من أعيان وأثرياء قيسارية وعكا وصيدا وجبيل وطرابلس وغيرها من المدن الساحلية التي وقعت في أيدينا فرّوا إلى صور يلتمسون الحماية وراء تحصيناتها. كما ابتاعوا لهم فيها الدُوْر

الغالية. ولم يجر قط في حسبانهم أن تقع مدينة حصينة كهذه المدينة في أيدي المسيحيين تحت أيّ ظرف من الظروف. وكان الحامل لهم على هذا التقدير أنهم كانوا يعُدّونها عريناً يستحيل اقتحامه، وحصناً منيعاً يستحل التغلّب عليه، وأنها فريدة لا يوجد لها ضريبٌ في كافة أرجاء الإقليم»[٥٦].

ويأتي «الشريف الإدريسيّ» بوصف مقتضب عن صور قُبيل سنة ٥٤٨هـ/١١٥٤م وهو لا يختلف عمّا سبق من كتابات غيره، فيبدأ بالإسكندرون التي تُخطىء جميع النسخ المطبوعة من كتابه «نزهة المشتاق» بتسميتها بالإسكندرية! فيقول إن منها إلى مدينة صور خمسة عشر ميلاً، وأن صور مدينة حسنة على ضفة البحر، وبها للمراكب إرساء وإقلاع، وهو بلد حصين قديم، والبحر قد أحاط به من ثلاثة أركانه. ولهذه المدينة رَبَضٌ كبير، ويُعمل بها جيّد الزجاج والفخار، وقد يُعمل بها من الثياب البيض المحمولة إلى كل الآفاق كل شيء حسن عالي الصفة والصنعة ثمين القيمة، وقليلاً ما يُصنع مثله في سائر البلاد المحيطة بها هواءً وماءً.

ويهتم «الإدريسي» بالمسافات والمراحل فيثبت في كتابه الأبعاد بين صور والبلاد المحيطة بها، مما يؤكد دقته ومشاهداته بنفسه لكل ما يذكره ويصفه، فيحدد المسافة من صور إلى طبرية بيومين كبيرين، ومنها إلى عدلون ـ وهو حصن منيع على البحر ـ ومنه إلى صرفند عشرون ميلاً، وهو حصن حسن، ومنه إلى صيدا عشرة أميال. وبين صور وصرفند يقع نهر لينطة (ليطة/ليطاني)، ومنبعه من الجبال ويقع هناك في البحر.. ومن صور إلى دمشق أربعة أيام[٥٧].

وفي سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م زار الرحّالة الأندلسي «ابن جُبير» مدينة صور وهي تحت احتلال الصليبيين وقال إنها «مدينة يُضرب بها المَثَل في الحصانة، لا تُلقي لطالبها بيد طاعة ولا استكانة، قد أعدّها الإفرنج مَفْزعاً لحادثة زمانهم، وجعلوها مثابة لأمانهم، هي أنظف من عكة سِككاً وشوارع، وأهلها ألْيَن في الكُفْر طبائع، وأجرى إلى برّ غرباء المسلمين شمائل ومنازع، فخلائقهم أسجح، ومنازلهم أوسع وأفسح، وأحوال المسلمين بها أهون وأسكن وعكّة أكبر وأطغى وأكفر. وأما حصانتها ومناعتها فأعجب ما يُحدَّث به، وذلك أنها راجعة إلى بابين: أحدهما في البر، والآخر في البحر، وهو يحيط بها إلا من جهة واحدة، فالذي في البر يُفْضي إليه بعد ولوج ثلاثة أبواب أو أربعة، كلها في ستائر مشيَّدة محيطة بالباب. وأمّا الذي في البحر فهو مدخل بين برجين مشيَّدين إلى ميناء ليس في البلاد البحرية أعجب وضعاً منها، يحيط بها سور المدينة من ثلاث جوانب ويُحدق بها من الجانب الآخر جدار معقود بالجَصّ. فالسفن تدخل تحت السور وترسو فيها، وتعترض بين البرجين المذكورين سلسلة عظيمة تمنع عند اعتراضها الداخل والخارج، فلا مجال للمراكب إلا عند إزالتها، وعلى ذلك الباب حُرّاس وأمناء، ولا يدخل الداخل ولا يخرج الخارج إلا على أعيُنهم، فشأن هذه الميناء شأن عجيب في حسن الوضع. ولعكّة مثلها في الوضع والصفة لكنها لا تحمل السفن الكبار حَمْل تلك وإنما ترسو خارجها، والمراكب الصغار تدخل إليها. فالصورية أكمل وأجمل وأحفل.

فكان مُقامنا بها أحد عشر يوماً، ودخلناها يوم الخميس وخرجنا منها يوم الأحد الثاني والعشرين لجمادى المذكورة، وهو آخر يوم من شتنبر (سبتمبر/أيلول)، وذلك أن المركب الذي كنّا أمّلنا الركوب فيه استصغرناه فلم نر الركوب فيه.

ومن مشاهد زخارف الدنيا المحدَّث بها زفاف عروسٍ شاهدناه بصور في أحد الأيام عند مينائها، وقد احتفل لذلك جميع النصارى رجالاً ونساءً، واصطفّوا سِمَاطَين عند باب



□ قطع فضية ضربت في صور (٤٠٠ ـ ٣٣٢ق.م) إله المدينة ملقارت يركب حصان البحر للدلالة على أهمية صور البحرية.

العروس المُهْداة، والبوقات تضرب والمزامير وجميع الآلات اللهْويَّة، حتى خرجت تتهادى بين رجلين يُمسِكانها من يمين وشمال، كانهما من ذوي أرحامها، وهي في أبهى زيٍّ، وأفخر لباس، تسحب أذيال الحرير المذهب سحباً على الهيئة المعهودة من لباسهم، وعلى رأسهم عُصابة ذهب قد حُفّت بشبكة ذهب منسوجة، وعلى لَبّتِها مثل ذلك منتظم، وهي رافلة في حَلْيها وحُلَلها، تمشي فِتراً في فترٍ مشْي الحمامة أو سير الغمامة، نعوذ بالله من فتنة المناظر. وأمامها جِلّة رجالُها من النصارى في أفخر ملابسهم البهية، تُسْحَب أذيالها خلفهم، ووراءها أكفاؤها ونُظراؤها من النصرانيات يتهادين في أنفَس الملابس ويرفُلْن في أرفل الحُلَى، والآلات اللهوية قد تقدّمتهم، والمسلمون وسائر النصارى من النُظّار قد عادوا في طريقهم سِمَاطَيْن يتطلّعون فيهم ولا يُنكِرون عليهم ذلك، فساروا بها حتى أدخلوها دار بعلها، وأقاموا يومهم ذلك في وليمة. فأدّانا الاتفاق إلى رؤية هذا المنظر الزُخرُفيّ المستعاذ بالله من الفتنة فيه.

.. وهاتان المدينتان ـ عكّة وصور ـ لا بساتين حولهما، وإنما هما في بسيط من الأرض أفْيَح، متصل بسيف البحر، والفواكه تُجلَب إليهما من بساتينهما التي بالقرب منهما، ولهما عمالة متسعة، والجبال التي تقرب منهما معمورة بالضياع، ومنها تُجبَى الثمرات إليهما. وهما من غُرّ البلاد.... ولصور عند بابها البرّي عينٌ معينة ينحدر إليها على أدراج. والآبار والجباب بها كثيرة لا تخلو دار منها»[٥٨].

ويتناول «القزويني» المُتوَفَّى سنة ٦٨٢هـ/١٢٨٣م بشكل خاص وصف القنطرة بصور، والتي أُرجّح أنها «قنطرة منير الدولة الجيوشي»، وذلك في وصفه الموجز للمدينة، فقال إن صور مدينة مشهورة على طرف بحر الشام، استدار حائطها على مبناها استدارة عجيبة، بها قنطرة من عجائب الدنيا وهي من أحد الطرفين إلى الآخر على قوسٍ واحد. ليس في جميع البلاد قنطرة أعظم منها. ومثلها قنطرة طُلَيْطُلَة بالأندلس إلا أنها دون قنطرة صور في العِظَم، يُنسب إليها الدنانير الصورية التي يتعامل عليها أهل الشام والعراق[٥٩].

أما «ياقوت الحَمَويّ» فلا يقدم لنا جديداً عن صور في كتابيه: «معجم البلدان» و«المشترِك وضعاً والمفترِق صِقْعاً»[٦٠]، وتأتي مادته عنها ترداداً لكتابات سابقيه من الرحالة والجغرافيين.

كما نقل «ابن عبد المنعم الحِمْيَريّ» عبارة «ابن جبير الأندلسي» المتقدمة قبل قليل في وصف صور حرفاً بحرف، وعبارة «الإدريسي» كذلك. ولكنه ضمّن مادته عن المدينة معلومةً فريدة لم أجدها في أيّ مصدر آخر حول اللحظات الأخيرة من سقوطها بيد الصليبيين، حيث كتب، وهو في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي:

«وأخذت الروم صور من أيدي المسلمين سنة ثمان عشرة وخمسمائة في أيام الآمر بأحكام الله خليفة مصر الشيعيّ، وكان أهلها عزموا على أن يجمعوا أهاليهم وأبناءهم في المسجد الجامع ويحملوا عليهم سيوفهم غَيْرةً من تملُّك النصارى لهم، ثم يخرجوا إلى عدوّهم بعزمة نافذة، ويصدموهم حتى يموتوا على دم واحد ويقضي الله قضاءه لهم، فمنعهم مِن ذلك فُقهاؤهم والمتورّعون

منهم، فأجمعوا على دفع البلد والخروج عنه بسلام، فكان ذلك، وتفرّقوا في بلاد المسلمين، ومنهم من استهواه حُبُّ الوطن فأقام بها[٦١].

وكانت صور في عهد الصليبيين قاعدة معاملةٍ واسعة في جنوب «لبنان» تابعة لمملكة بيت المقدس، وقبل تحريرها بسنوات قليلة في عهد السلطان الأشرف خليل كان يتبع صور (٩٣) ثلاث وتسعون قرية وضيْعة ورد ذكرها جميعاً في نص الهدنة المنعقدة بين السلطان المنصور قلاوون وسيدة صور الملكة «مَرْغريت» سنة ٦٨٤هـ[٦٢]/ ١٢٨٥م. منها قرى معروفة بأسمائها حتى الآن، مثل قانا، والعَيْشيّة، وعبّا، والبازوريّة، والمالكية، وحنَوَيْه، والمعلّيّة، ودوردغيّا، والمَجَادل. ومنها ما صُحِّف، مثل «باتولية» حيث وردت «بابولية»، و«دير قانون» حيث وردت «دير قالون»، و«رقلية» وردت «رفلية»، و«يانوح» وردت «بابوح»، و«كفردونين» وردت «كفردبين»، و«صريفا» وردت «أصريفيا»، و«باريش» وردت «بارين»، وغيرها. ومنها قرى وضِياع غير معروفة الآن وقد نُسيت أسماؤها، مثل: سُدُس، وقحلب، والمرفوف، والجارودية، والجمادية، ورأس العين، وبرج الاسبتار، والطالية، والدهرية، ووادي الحجّاج، ودير عمران، والتعتبية، والكَبّية، وغرابغال، والزيادات، وربعين، وبني دفنع، ومارتين، وفقتة، والخميرا، وغيرها[٦٣]. وليت الباحثين من أهل صور وقُراها يصوّبون هذه الأسماء أو يحدّدون مواقعها توضيحاً لما غمُض منها، وتقويماً للبحث العلمي.

•

الحواشي والمصادر

(١) فتوح البلدان، للبلاذري ١/١٣٩؛ الخراج وصناعة الكتابة، لقُدامة ٢٩٠.
(٢) فتوح البلدان ١/١٤٠.
(٣) فتوح البلدان ١/١٧٥.
(٤) فتوح البلدان ١/١٤٠.
(٥) البُلدان، لليعقوبي ٣٢٧.
(٦) المنتخب من تاريخ المنبجي ـ تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري ـ طبعة دار المنصور، طرابلس ١٩٨٦، ص ٧٢.
(٧) فتوح البلدان ١/ ١٤٠ و١٧٠.
(٨) فتوح البلدان ١/ ١٤٠.
(٩) تاريخ دمشق، لابن عساكر (مخطوطة المكتبة التيمورية ١٠٤١ تاريخ) مجلد ٤٦/ورقة ٧٦٧.
(١٠) تاريخ الرُسل والملوك، للطبري ٦٧/٧، الكامل في التاريخ، لابن الأثير (طبعة دار صادر) ٥١٨/٥.
(١١) تاريخ دمشق ٦/ورقة ١٨، تهذيبه، لبدران ٣/ ٤٣.
(١٢) تاريخ دمشق ٦/ورقة ١٩.
(١٣) تاريخ دمشق ٦/ورقة ١٨، ١٩، تهذيبه ٣/ ٤٧ و٤/ ٣٩٠.
(١٤) المنتخَب من تاريخ المنبجي ٩٥.
(١٥) الوزراء والكُتّاب، للجهشياري ٨٠.
(١٦) تهذيب تاريخ دمشق ٤/ ١٤٠، ١٤١.
(١٧) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نُعيم الأصبهاني ٨/ ٩.
(١٨) حلية الأولياء ٦/ ٣٦٩، ٣٧٠.
(١٩) تاريخ دمشق ٨/ورقة ٣٢٦، تهذيبه ٤/ ١٤٠، ١٤١.
(٢٠) تاريخ دمشق ٤/ورقة ١٣٦ و٢٦/ورقة ١١٥ وكان إمامه: إبراهيم بن إسحاق بن أحمد المقرىء.
(٢١) تاريخ دمشق ٤٨/ورقة ١١٤ و١٢٦.
(٢٢) مروج الذهب، للمسعودي ٤/ ٢١٤، وانظر كتابنا: لبنان من الفتح الإسلامي حتى سقوط الدولة الأموية ـ طبعة جرّوس برس ـ طرابلس ١٩٩٠ ـ ص ٢٣٢ـ٢٤١.
(٢٣) مختصر كتاب البلدان، لابن الفقيه ١١٧.
(٢٤) تهذيب تاريخ دمشق ٦/ ١٤١.
(٢٥) تاريخ الطبري ٩/ ٣٠٨، الكامل لابن الأثير ٧/ ١٦٣.

(٢٦) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٥٠٨، تاريخ الطبري ٩/ ٤٧٥، الكامل لابن الأثير ٧/ ٢٣٨، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي ٦٨٢، والوزراء والكُتّاب ٨٢، والانساب لابن السمعاني ٨/ ٤٣٢، ٤٣٣، وانظر كتابنا: لبنان من قيام الدولة العباسية حتى سقوط الدولة الإخشيدية ـ طبعة جرّوس برس، طرابلس ١٩٩٢، ص ٦١ و٦٢.
(٢٧) أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، للمقدسي ١٦٢، ١٦٣.
(٢٨) الخراج وصناعة الكتابة ١٨٨، نُبَذ من كتاب الخراج، لقُدامة ٢٥٥.
(٢٩) البلدان ٣٢٥.
(٣٠) مسالك الممالك، للأصطخري ٤٥، الأقاليم، له ٣٢.
(٣١) صورة الأرض ١٦٠.
(٣٢) أحسن التقاسيم ١٦٢، ١٦٣.
(٣٣) أحسن التقاسيم ١٨١.
(٣٤) الأنساب ٧/ ٤٦٩.
(٣٥) انظر عن دميان الصوري وليو الطرابلسي في كتابنا: لبنان من قيام الدولة العباسية.. ص ٨٦ ـ ١٣٠.
(٣٦) وُلاة مصر، للكندي ٢٦٨ـ٢٧١، الوُلاة والقضاة، له ٢٤٥ـ٢٤٧.
(٣٧) تاريخ دمشق ٣٨/ورقة ١٥٥ـ١٥٧.
(٣٨) تاريخ دمشق ٣٧/ورقة ٥١١ والاديب الصوري هو: أبو بكر محمد بن يحيى.
(٣٩) ديوان المتنبّي ـ نشره د. عبد الوهاب عزّام ١/ ١٣٦، معجم البلدان الياقوت ١/ ١٤٨.
(٤٠) ديوان التهامي ١٣ (نشرة المكتب الإسلامي).
(٤١) ديوان التهامي ١٢٥، ١٢٦.
(٤٢) سفرنامة، لناصر خسرو، ترجمة د. يحيى الخشّاب ٤٨.
(٤٣) انظر عن إمارة بني أبي عقيل في كتابنا: لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيين، طبعة دار الإيمان، طرابلس ١٩٩٤، ص ١٠٥ـ ١٣٨.
(٤٤) مرآة الزمان، لسِبط ابن الجوزي (مخطوط بدار الكتب المصرية) ج ١٢ ق١/ورقة ١٦.
(٤٥) ديوان ابن الخياط ١٣٦.
(٤٦) المنازل والديار، لأسامة بن منقذ ٢٣٦.
(٤٧) الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، لابن شدّاد ٢/ ١٦٤.
(٤٨) أخبار مصر، لابن ميسَّر ٢٩، ذيل تاريخ دمشق، لابن القلانسي ١٢٤.
(٤٩) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، للذهبي ـ تحقيق عمر عبد السلام تدمري ـ طبعة دار الكتاب العربي، بيروت (حوادث وفيات ٥٠١ـ٥١٠هـ) ص ٢٠.
(٥٠) يعود تاريخ ضرب أول قطعة نقدية في طرابلس إلى سنة ٣٦٥هـ/ ٩٧٥م. بينما تأخّر ضرب أول قطعة نقود في صور إلى سنة ٤٠١هـ/ ١٠١٠م. انظر عن نقود طرابلس وصور في العصر الفاطمي، كتابنا: لبنان من السيادة الفاطمية.. ق ٢ (الحضاري)، ص ١٤٣ـ١٧٧.
(٥١) انظر كتابنا: دار العلم بطرابلس ـ طبعة دار الإنشاء، طرابلس ١٩٨٢، ولبنان من السيادة الفاطمية. القسم الحضاري، ٢/ ٢٢٣ـ٣٠٢.
(٥٢) نصوص من أخبار مصر، لابن المأمون البطائحي ٩٥.
(٥٣) ذيل تاريخ دمشق، لابن القلانسي ١٨٨، ١٨٩.
(٥٤) ديوان عبد المحسن الصوري ١/ ٢٦٨.
(٥٥) انظر دراستنا: نقد ديوان عبد المحسن الصوري ـ نُشرت في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ـ العدد المزدوج ٢٣ و٢٤، السنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م. عمّان ص ١٥٥ـ١٩٤.
(٥٦) الحروب الصليبية ـ وليم الصوري ـ ترجمة الدكتور حسن حبشي ـ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ج ٣/ ٢٦، ٢٧.
(٥٧) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ـ للشريف الإدريسي ـ نشره جيلديمايستر ـ بون ١٨٨٥ ـ ص ١٥، ١٦.
(٥٨) رحلة ابن جُبير الاندلسي ـ طبعة دار صادر، بيروت ١٣٨٤هـ/ ١٩٨٤م، ص ٢٧٣ـ٢٧٥ و٢٧٧ـ٢٧٩ و٢٨٢، ٢٨٣.
(٥٩) آثار البلاد واخبار العباد، لزكريا بن محمد القزويني ـ طبعة دار صادر، بيروت ١٩٦٠. ص ٢١٧.
(٦٠) معجم البلدان، لياقوت ج ٣/ ٤٢٣، المشترك وضعاً والمفترق صقعاً، له ٢٨٦.
(٦١) الروض المعطار في خبر الأقطار، للحِمْيَري ـ تحقيق الدكتور إحسان عباس ـ طبعة مكتبة لبنان ١٩٧٥ ـ ص ٣٦٩.
(٦٢) تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور ـ لمحيى الدين بن عبد الظاهر ـ تحقيق الدكتور مراد كامل ـ طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر ١٩٦١، ص ١٠٣.
(٦٣) قمت بضبط معظم أسماء القرى والضياع وتحقيقها وتصويبها استناداً إلى بعض المراجع الجغرافية الخاصة بجنوب لبنان، وذلك في كتابي: «لبنان من السقوط بيد الصليبيين حتى التحرير» وهو تحت الطباعة حالياً.

